الفصل الثالث

تخطي العقل الواعي

«اللاوعي كان مفضلاً دائمًا على العقل الواعي اليومي، الذي يعوق بطؤه فاعليته».
مصنع اليتيم.

تطوير الفكر العبقري ينحدر أساسًا من أمرين، هما: العمل بسرعة، واستخدام العقل الباطن (اللاوعي) أكثر من العقل الواعي. هذه البدهية أو هذه المقاربة المسترخية في الدراسة هي القطب المعاكس لصور التعليم التقليدية السائدة.

بعيدًا عن بعض الموضوعات الفنية، مثل الموسيقى والرقص، تطلب مؤسسات التعليم عمومًا إلى الطلاب التركيز طوال الوقت؛ بمعنى آخر، لا يوجد لدى الطلاب خيار آخر سوى استخدام عقولهم الواعية، وبناءً على ذلك هم يكبتون مخزونًا هائلًا من اللاوعي.

عندما نُجبر على أن نفكر ببطء شديد، فإن دماغنا يعمل أقل بكثير من مستوياته المثلى؛ لهذا السبب يشعر طلاب المدرسة غالبًا

بالإعياء؛ إذ إن الدراسة بهذه الصورة هي عملية استنزاف لدرجة لا تصدق.

لكن، كيف نشعر بالاستنزاف العقلي حينما يُجمع علماء الأعصاب وباحثو الدماغ على أننا نستخدم نسبة ضئيلة من دماغنا؟

في **ثلاثية اليتيم**، يدخل الأيتام غالبًا في حالة من أحلام اليقظة، كلما احتاجوا إلى إجابات عن مواقف الحياة والموت؛ وذلك لأنه بنزع التركيز، فإنك ستتيح لحدسك أو للعقل اللاواعي أن يقدم لك الإجابات التي تحتاج إليها، وهذا يحدث دون أن تسعى إليه.

لقد مررنا جميعًا بحالة نتأمل فيها مسألة طوال اليوم، لنجد أننا تلقينا الحل ما إن نسينا المسألة وفكرنا بشيء آخر، فحينما نتوقف عن التركيز الفائق، فإننا نسمح للاوعي عندنا بالانتعاش، ونطلق على من يقومون بذلك أكثر من الآخرين وصف العباقرة.

وبوصفه رئيسًا لدار أيتام بدمونت، يقول تومي كنتبريدج (Tommy Kentbridge) لطلابه في **مصنع اليتيم**: «العقل اللاواعي هو المكان الذي تجد فيه الذكاءات العليا جميعها؛ فقد استغل كل عبقري عبر التاريخ ـ منهم تسلا، وأينشتاين، ودافينشي ـ القوة اللامحدودة لعقله اللاواعي».

أظهرت الدراسات أن العقل اللاواعي يمكن أن يعالج (11) مليون بت من المعلومات في الثانية، أما العقل الواعي فيمكنه معالجة (15) إلى (16) بت من المعلومات فقط في الثانية، وثمة فرق شاسع!

إحدى أفضل الطرائق لجلب معادلة العقل اللاواعي هي تخطي العقل الواعي، وذلك بالسير فيه بسرعة كبيرة بحيث لا يستطيع الاستمرار؛ لذلك يؤدي الأطفال كل شيء سريعًا هنا في دار أيتام بدمونت في شيكاغو، ويتم تعليمهم كيف يتعلمون الأشياء بصورة غير مباشرة بدلًا من تعلمها بصورة مباشرة، لكن من خلال الالتفاف على حواف الموضوعات المعقدة، لن يعاني الأطفال حملًا زائدًا من المعلومات، أو لن يضلوا طريقهم.

كما كتبنا في **اليتيم التاسع**: «من تراث ليوناردو دافنشي ومن تاريخ الرجال العظام الآخرين ذوي الثقافات المتعددة، تعلم الأطفال كيف يفهمون أي شيء باستخدام تقنية عقلية متطورة، حيث تحفز بسهولة عقولهم للاستيعاب».

لتحفيز عقلك نحو الاستيعاب، سيكون مرة أخرى القطب المعاكس لأنظمة التعليم الحديثة التي تفترض وجود طريقة واحدة للتعلم: بصورة واعية وتركيز شديد.

إن بدت طريقة التعلم غير المباشرة هذه سطحية، فقد دعمت بالعلوم الجادة، وهي ليست طريقة صوفية تأملية عن بُعد، فهذه المقاربة هي حول موجات الدماغ والفهم، أو تعرُّف الحالة المثلى للتعلم.

عندما تحفز الأخدود المناسب في الدماغ، فيمكن أن تتعلم بسرعة وبأسلوب مرضٍ، وممتع أيضًا؛ إنها خصوصية الدماغ التي يفوز بها نخبة من الرياضيين وخبراء فنون الدفاع عن النفس، حيث يشير علماء النفس أحيانًا إلى هذه الحالة العقلية القصوى على أنها **منطقة** (the zone)، لكنها ليست سوى منطقة استحواذ للموجات الدماغية الفاعلة في التعلم.

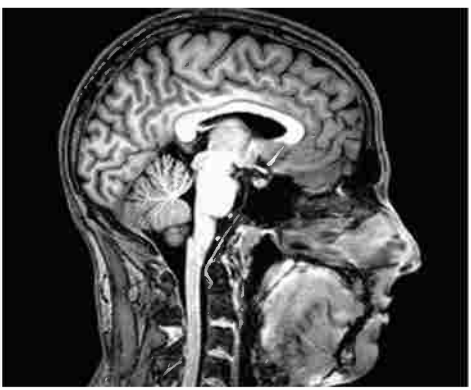

صورة عالية الجودة للدماغ باستخدام الرنين المغناطيسي ثلاثي الأبعاد.

حينما يُحَس بأن الدراسة مرهقة فالاحتمال الأكبر أن يكون الطالب في موجة دماغية من نوع بيتا، التي تحدث عندما يسيطر العقل الواعي؛ فالدماغ الذي تسوده موجة بيتا يكون في الحالة المثلى من الملل والقدرة المتوسطة.

يبدأ العقل اللاواعي دوره عند حدوث موجات دماغية أقل شيوعًا، مثل: ألفا، وجاما، وثيتا ودلتا، وقد تبين أن موجات الدماغ هذه تكون نشطة عندما تكون موضوعات الاختبار مضحكة، أو في أثناء أحلام اليقظة، أو في التأمل، أو الغناء، أو الرقص أو الحركة العفوية.

كم معلم رياضيات أو لغة إنجليزية تساهل بهذه الأنشطة في صفه الدراسي؟

ماذا لو وجِدت طريقة أسرع في التعلم، وأقل منهجية تتيح لك أن تتعلم دون تعليم؟

يبدو ذلك متناقضًا، أليس كذلك؟

«يحقق الموهوب الهدف الذي لا يمكن أن يحققه أحد، ويحقق العبقري الهدف الذي لا يمكن أن يراه أحد».

آرثر شوبنهاور

* * *